بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 39 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة لقمان**

التاريخ:08\02\2022 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري البحراني**

سأذكر موعظة أخرى من مواعظ لقمان الحكيم عليه السلام، للمناسبة التي عرفناها، وهي أننا تكلمنا في المحور الثاني هذه الصورة عن مواعظ لقمان عليه السلام ووصاياه لابنه.

الحكمة الثانية: رواها في قرب الإسناد عن مسعدة من صدقة[1]، عَنْ مَسْعَدَةَ بْنِ صَدَقَةَ قَالَ: حَدَّثَنِي جَعْفَرٌ، عَنْ أَبِيه عليه السلام قَالَ: «قِيلَ لِلُقْمَانَ: مَا الَّذِي أَجْمَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ قَالَ: لَا أَتَكَلَّفُ مَا قَدْ كُفِيتُهُ، وَلَا أُضَيِّعُ مَا وُلِّيتُهُ»[2].

هذه الحكمة المختصرة تنفع في الوعظ والإرشاد، وفي الوقت نفسه تدل على قاعدة من القواعد المهمة في باب الإدارة. حكمة في غاية الأهمية.

بداية السائل يسأل لقمان: مَا الَّذِي أَجْمَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ حِكْمَتِكَ؟ الإجماع على الشيء هنا بمعنى العزم عليه، بمعنى إحكامه. أجمع على الشيء أي: أحكمه وعزم عليه. نظير ما ورد في سورة يونس عليه السلام: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قالَ لِقَوْمِه يا قَوْمِ إِنْ كانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقامي وَتَذْكيري بِآياتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكاءَكُمْ ثُمَّ لا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلا تُنْظِرُونِ﴾[3] أي: أحكموا أمركم، افعلوا ما عزمتم عليه من إخراجي أو قتلي أو ما شابه ذلك. وعليه يحمل قول الشاعر:

يا ليت شعري والمنى لا تنفع هل أغْدُوَنْ يوماً وأمري مُجمَع[4]

أي: وأمري محكم، مصمم.

---

[1] روايات مسعد بن صدقة معتبرة عندنا.

[2] قرب الإسناد (ط - الحديثة)، النص، ص: 72. ونقله المجلسيّ في بحار الأنوار 13: 415/ 6.

[3] يونس 71

[4] مغني اللبيب ج 2 ص 388. ومغني الأديب ج 2 ص 13. وهو رجز لا يعرف قائله.

إذن السائل يسأل لقمان الحكيم عليه السلام عن الحكمة المحكمة لديه، كما لو قيل له: ما هي أفضل حكمة عندك؟ فإذا لقمان عليه السلام الذي عاشر الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وآتاه الله سبحانه وتعالى الحكمة، يريد أن يعطينا أفضل حكمة لديه، وهذه الحكمة مؤلفة من كلمتين:

الكلمة الأولى: لَا أَتَكَلَّفُ مَا قَدْ كُفِيتُهُ.

الكلمة الثانية: وَلَا أُضَيِّعُ مَا وُلِّيتُه.

هذه في مجال الوعظ والإرشاد والعبرة، الباري تبارك وتعالى كتب على واحد منا تكاليف وواجبات، أوامر ونواهي. فنلاحظ كثيراً أن الواحد منا ينسى هذه التكاليف وينشغل بأفعال الناس، يراقب ما عمل فلان، وما قدم فلان، بل قد يعترض عليه، والحال أني لم أكلف بأعمال فلان، أعمال فلان هي تكليف عليه، فتشغلني عيوب الناس عن إصلاح عيوبي. والحال أن ما وليت عليه هي أعمالي وعيوبي ومواقفي وحركاتي وسكناتي، وليست عيوب الآخرين وأعمالهم وسكناتهم.

إذن في مقام العبرة والموعظة لَا أَتَكَلَّفُ مَا قَدْ كُفِيتُهُ، وَلَا أُضَيِّعُ مَا وُلِّيتُهُ كل واحد منا له ولاية على أعماله، على مواقفه، على حركاته، على سكناته. لذا إذا تولى الإنسان شيئاً لابد أن يحسنه وأن يتقنه. أما أعمال الآخرين، ومواقف الآخرين فليست داخلة ضمن دائرة تكليفي حتى اشتغل بعيوب الناس عنه عيوبي.

أما في مجال إنجاز المهام وإدارة شؤون الحياة، فهذه أيضاً قاعدة في غاية الأهمية، أن الإنسان يعمل على إنجاز ما هو من وظائفه. أما الخارج عن وظائفه، فتعتبر أمور ثانوية، الانشغال بها لابد أن يكون بعد إنجاز وظائفه، وإلا لو اشتغل الإنسان بإنجاز الأمور الثانوية الخارجة عن وظائفه، فمحدودية العمر والوقت والقدرة والزمان قد لا تسمح له بإنجاز وظائفه.

فإذن هذه قاعدة مهمة في فن الإدارة، أن يرتب الإنسان الأولويات، وأولى الأولويات ما يكون تحت ولايتي، وما يكون من وظائفي، لا ما هو ليس من وظائفي، وقد كفاني مؤونة التكلف به الغير.

طبعاً، هذه ليس دعوة إلى ترك مساعدة الآخرين؛ لأن مساعدة الناس من ضمن وظائف الإنسان، وإنما الكلام في أن الإنسان لمحدودية عمرة، ومحدودية قدرته وجهده، عليه أن يعمل على وفق الأولويات، أن يرتب الوظائف على وفق الأهم فالأهم.

والحاصل من الحكمة اللقمانية التي نقلها لنا الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام: أن المرء ينبغي أن يولي أهمية كبرى لما تولاه، ويترك ما قد كفيه. ولعل لقمان الحكيم عليه السلام في بعض الروايات كان في عمله ناظراً إلى هذه الحكمة.

ففي الرواية حَدَّثَنِي أَبِي عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ الْمِنْقَرِيِّ عَنْ حَمَّادٍ قَالَ: فَإِنَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمَرَ طَوَائِفَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ حِينَ انْتَصَفَ النَّهَارُ وَهَدَأَتِ الْعُيُونُ بِالْقَائِلَةِ [يعني وقت القيلولة] فَنَادَوْا لُقْمَانَ حَيْثُ يَسْمَعُ وَلَا يَرَاهُمْ فَقَالُوا: يَا لُقْمَانُ هَلْ لَكَ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ تَحْكُمُ بَيْنَ النَّاسِ فَقَالَ لُقْمَانُ: إِنْ أَمَرَنِيَ اللَّهُ بِذَلِكَ فَالسَّمْعَ وَالطَّاعَةَ[5] لِأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ بِي ذَلِكَ أَعَانَنِي عَلَيْهِ وَعَلَّمَنِي وَعَصَمَنِي وَإِنْ هُوَ خَيَّرَنِي قَبِلْتُ الْعَافِيَةَ.[6]

أي: يمكن للغير أن يتكفل به، وهذا أمر مهم فيما يرتبط بهذه المناصب الدنيوية التي نلاحظ أن عبيد الدنيا يتكالبون عليها، فينبغي للمؤمن أن يفرح إذا تكلف المسؤولية غيره، لا أن يسارع إلى المزاحمة في تولي المناصب والمسئوليات.

وهذه سيرة السلف الصالح من علمائنا رضوان الله تعالى عليهم فيما يرتبط بشؤون المرجعية، فالشيخ الأعظم رحمه الله عندما كان الجواهر رحمه الله في حالة الاحتضار خرج من النجف الأشرف، تعرفون عندما يكون المرجع المتفرد في حالة خروج من هذه الدنيا، يهتم أهل الحل والعقد في من يكون بعده؛ كي لا تذهب هذه الأمور إلى غير أهلها. ففر الشيخ الأعظم رحمه الله من هذه القضية. إلى أن أوتي صاحب الجواهر رحمه الله في آخر لحظات عمره شيئاً من القوة، فاستدعاه وقال له: يا شيخ قلل من احتياطاتك، حيث كان الشيخ الأعظم رحمه الله معروف بمسألة الاحتياط كما هي ظاهرة بشكل واضح في المكاسب.

فإذن لقمان الحكيم عليه السلام طبق هذه الحكمة.

---

[5] لأنه سيكون مما وليته.

[6] وهي رواية طويلة. تفسير القمي، ج2، ص: 163. بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج13، ص: 410.

تكمل الرواية: فَقَالَت الْمَلَائكَةُ يَا لُقْمَانُ لمَ قُلْتَ ذَلكَ قَالَ: لأَنَّ الْحُكْمَ بَيْنَ النَّاس منْ أَشَدّ الْمَنَازل منَ الدّين وأَكْثَرُهَا فتناً و بَلَاء مَا يُخْذَلُ ولَا يُعَانُ ويَغْشَاهُ الظُّلَمُ منْ كُلّ مكَان وصَاحبُهُ فيه بَيْنَ أَمْرَيْن إنْ أَصَابَ فيه الْحَقَّ فَبالْحَريّ أَنْ يَسْلَمَ وإنْ أَخْطَأَ أَخْطَأَ طَريقَ الْجَنَّة ومَنْ يَكُنْ في الدُّنْيَا ذَليلًا وضَعيفاً كَانَ أَهْوَنَ عَلَيْه في الْمَعَاد أَنْ يَكُونَ فيه حَكَماً سَرِيّاً شَريفاً ومَن اخْتَارَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخرَة يَخْسَرُهُمَا كلْتَيْهمَا تَزُولُ هَذه و لَا تُدْرَكُ تلْكَ، قَالَ فَتَعَجَّبَت الْمَلَائكَةُ منْ حكْمَته واسْتَحْسَنَ الرَّحْمَنُ مَنْطقَهُ، فَلَمَّا أَمْسَى وأَخَذَ مَضْجَعَهُ منَ اللَّيْل أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْه الْحكْمَةَ فَغَشَّاهُ بهَا منْ قَرْنه إلَى قَدَمه وهُوَ نَائمٌ وغَطَّاهُ بالْحكْمَة غطَاءً فَاسْتَيْقَظَ وهُوَ أَحْكَمُ النَّاس في زَمَانه.[7]

وفقنا الله وإياكم للاعتبار.

[7] تفسير القمي، ج2، ص: 163. بحار الأنوار (ط - بيروت)، ج13، ص: 410.